بحرا الضياء

العدد ٣٤٦ - الأحد ٢٦ آذار ٢٠٠٦م- ٦٧٥٥ آ

صلاح زينل

الديمقراطية والمشهد السياسي

مي يونان توفيق

Maytui٢٠٠٣@yahoo.com

يتعرض المشهد السياسي العراقي لمواجهة تحديات صعبة جدا قد تجعله في المحك. وهكذا تتجسد صور الديمقراطية من خلال الأحداث التى يمر بها البلد، وهي الفترة التى تسبق تشكيل الحكومة الجديدة للمدة المقررة اربع سنوات والتى سوف تعاني الفوضى في تطبيق القوانين بسبب التهافت على المناصب القيادية بغض النظر عن عظمة المسؤولية الملقاة على عاتق القيادي ومدى ادائه للواجب بأمانة وضمير. ان الشعب العراقي مر بمراحل مظلمة ومنها انتهاك الحقوق ولذلك نشأ الفرد الاعتيادي وهو لا يملك معرفة عن الديمقراطية وعن اسلوب ممارسة عادلة في بيئة غير عادلة. وبما ان القائد ابن هذا البلد وقد تعرض للاضطهاد عدة مرات ولم يمارس معه اي نوع من انواع العدالة، أصبح يجهل اسلوب ممارستها واسلوب التدريب عليها، وبالتالي لن يكون قائدا ديمقراطيا بين ليلة وضحاها، ولا يتوقع اي سياسي انه قائد عادل ما لم يمارسها ويتدرب عليها، وذلك بتجاوز الخلافات القائمة واحلال مصلحة البلد فوق المصلحة الشخصية والابتعاد عن الكبرياء لإنها "رداء الله وحده" حتى ولو كان استحقاقا انتخابيا او اغلبية ساحقة او غيرها من الأمور.

عند قراءتي للصحف والمجلات اقرأ دائما عبارة: ان مجلس الامن الدولي يدعو السياسيين العراقيين الى التسريع بتشكيل حكومة.. ويؤكد على كلمة "حكومة تمثيلية لا تستثني احدا".

السؤال المهم الذي يطرح نفسه، هل نحن بحاجة لمجلس الأمن الدولي ليذكرنا بمسؤوليتنا وواجباتنا تجاه الوطن الذي ننتمي اليه والشعب المتألم الذي يعاني وما يزال يعاني صعوبة الحياة وخطورة التعرض للقتل والاغتيالات بدافع الحقد الدفين وتصفية الحسابات القديمة؟!.

اذا طالت مدة بقائنا على هذا الحال المتأزم وطال انتظارنا سوف نثبت للعالم اننا شعب متخلف وليس على مستوى من النزاهة وغير قادر على السيطرة على اخطائه وانفعالاته وان المصلحة الشخصية للسياسي العراقي اساس سياسته وتطلعاته.

هناك اسماء ذكرت في التاريخ على اساس موقف معين من اصحابها وعلى سبيل المثال شخصية طالما بقيت في ذهني، فالسياسي السوري شكري القوتلي تنازل عن رئاسة الدولة بعد الوحدة بين مصر وسوريا في سنة ١٩٥٨ وكان موقف هذا السياسي من الأهمية بحيث ما يزال في الذاكرة.

وإذا رجعنا بالذاكرة الى رمز الهند المهاتما غاندي الذي سخر كل فقره لخدمة قضيته الى ان اصبح وهو موجود على قيد الحياة اعظم رجل في زمانه وفق قوانين الشهرة المتعارف عليها لأشهر رموز التاريخ.

إنها إذن صرخة وبأعلى صوت الى القادة العراقيين: كفاكم جدلا غير مجد، ان الوقت قد حان لتبرهنوا على حسن النوايا ولا يزال هناك الكثير للقيام به.

عيون البسطاء تنتظر الفرج من الله بكم ومن خلالكم، كونوا بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقكم ولا تبحثوا عن السلطة العمياء بدون القدرة على استخدام الحكمة في ادارة الدولة. عندما سأل الله سليمان: "ماذا اعطيك"، أجاب: "لأنك وليتني حكم شعب كثير كتراب الارض، فهبني حكمة ومعرفة لأقود هذا الشعب، لانه من يستطيع ان يحكم شعبك العظيم هذا؟"، قال الله لسليمان: "لأنك لم تنشد غنى، ولا اموالا، ولا عظمة، ولا انتقاما من اعدائك، ولم تطلب حياة طويلة، بل سألت لنفسك حكمة ومعرفة لتحكم بهما، فإنني اهبك حكمة ومعرفة، وانعم عليك بالغنى والمال والعظمة، بحيث لا يضاهيك فيها احد من الملوك السابقين ولا اللاحقين".

الأول من نيسان رأس السنة البابلية الآشورية: من أين.. ولماذا؟

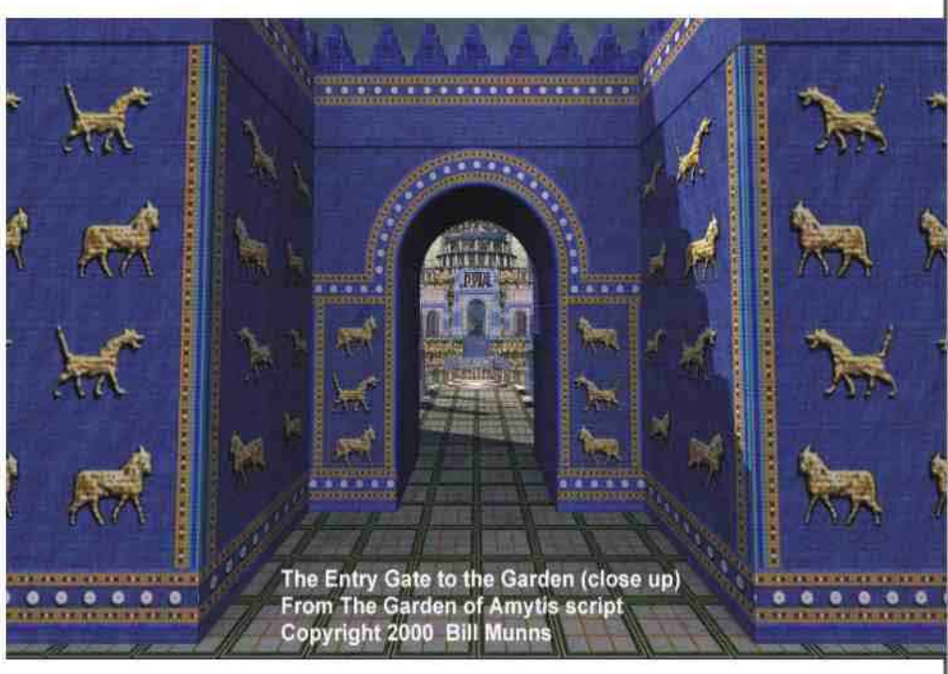

بقلم: بـ. أخيقار

منذ ان ظهر الانسان على سطح الارض كافح وناضل بكل وسيلة لكي يكسب الحياة ويسيطر عليها من اجل بقائه، وبذلك بدأ صراعه مع الطبيعة.. الا ان الزمن اثبت ان الاتحاد مع الطبيعة خير نظرية يعمل بها الانسان وخير وسيلة ليكشف عن الكثير من اسرارها التي ظلت لغزا محيرا.

وكان الانجاز الأعظم للانسان النهريني عندما برع الاجداد الآشوريون البابليون في علم الفلك والتنجيم واستطاعوا بدقة مراقبة النجوم والأجرام السماوية وتدوين تواريخ الظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف وتنظيم الدورات الزراعية. كما عرفوا تقسيم السنة الى أشهر وايام والايام الى ساعات وهكذا.. فكانت بداية تنظيم التقاويم السنوية ومعرفة شهور السنة وتسميتها بأسماء الآلهة أو اشباه الآلهة مثل نيساتو "نيسان" وابو آب".. الخ.

واختار الآشوريون الاول من نيسان عيدا لرأس السنة الآشورية ايمانا منهم بإسطورتين:

الاولى قصة الخليقة وبطلها الاله مردوخ "اشور في نينوى" اله الحق والخير الذي يقسم "تيامات" الهة الشر في صراع بطولي وملحمي الى نصفين ليخلق منها السماء والارض ومن ثم يخلق الانسان وتبدأ الحياة والطبيعة على الارض.

الثانية تقوم على اساس انبعاث الاله تموز وقيامه من عالم الاموات بعد ان تكون قد حزنت زوجته وحبيبته الالهة عشتار من حكم الشياطين الاشرار عليه بالموت فيعود الى الحياة في موسم إعتدال الربيع ونمو العشب والزرع كرمز لبدء الخليقة على الكون في شهر نيسان.

وهكذا يغدو الاول من نيسان عيدا قوميا ومن اهم واجمل الأعياد التي احتفل بها الآشوريون وعلى مدى آلاف السنين.. فيها تمارس جملة شعائر وطقوس دينية وتسيير المواكب الاحتفالية واقامة بعض المسرحيات التي كانت ترمز الى بداية الخليقة وميلاد الارض والسماوات والانسان.

وكان يشارك في احتفالات رأس السنة الملك وحاشيته ورئيسهم وعامة الناس، والممثلون والمهرجون الموسيقيون، كما كان يحضرها كضيوف شرف بعض ملوك وزعماء الدول والامارات الاخرى. وكانت الاحتفالات تبدأ من وسط المدينة سواء كانت نينوى او اشور او بابل عبر بوابة عشتار وصولا الى هيكل اكيتو. عليه اصبحت الاحتفالات تعرف بعيد او مهرجان اكيتو.

أعياد نيسان رموز ودلالات

ان هذه الاحتفالات والتي تستمر اثني عشر يوما "كما سبق الذكر" بمجملها كانت ترمز الى:

- رمز لتجدد الحياة واستقبال فرح التجدد في جمال الطبيعة من نمو الازهار وتفتح البراعم وكساء الارض بالعشب، ورمز لقيامة وتجدد نيسان وانتصاره على الشتاء بإنتصار "مردوخ" على "تيامات" لتكون سنة عطاء والحصاد الجيد.

- خلق روح الاتحاد والوحدة بين جميع اقسام البلاد والعاصمة وابناء الامة.

- تذكير الملك ورؤسائه وكل الشعب بيوم بداية الخليقة عندما كانت تقرأ قصة الخليقة في اليوم الرابع.

- اظهار بعض الجوانب السياسية والقانونية تجسد طاعة الملك للقيم والمباديء الاعلى من حكمه وسياسته وتتمثل بإنصياعه للإله المقدس وتقديم صلاة الغفران وقسم الالتزام بالمطلوب منه من واجبات الاهتمام بالمدينة وسكانها والحفاظ عليها والدفاع عنها من الأعداء. وتضرع الملك بالإله ليمنحه الحكم العادل على الارض والعالم والناس وتقديس عرشه.

- عمل مقارنة بين الحكم الرسمي وبين الحكم غير الرسمي اللاقانوني وبيان الفرق بين الاستقرار والنظام السياسي، وضرورة الملك والحكم في الحياة الانسانية وبيان الفرق بين الفوضى والاضطراب وتأثيرها بدون الاستقرار في البلاد وبين البشر.

احتفالات نيسان بين الأمس واليوم

ان امتداد هذه الاحتفالات الى عمق التاريخ الرافديني ابتداء بالعهد السومري ومرورا بالاكادي والبابلي والاشوري ثم البابلي الحديث لم يجعلها تنقطع مع فقدان هذا الشعب لسلطته السياسية بسقوط بابل عام ٥٢٩ ق.م، الا انها استمرت وتواصلت الى المراحل التاريخية اللاحقة في اطار الممالك الصغيرة التي اقامها كمملكة الرها في جزء من بيث نهرين حيث تشاهد "الاحتفالات" في القرون الاولى موصوفة في تعاليم مار ادي كما نجدها في القرن الخامس الميلادي بعد انتشار المسيحية، مما أغضب المطران رابولا اسقف الرها فأمر بهدم هذه المعابد الوثنية الاربعة التي كانت ما تزال قائمة حتى ذلك الحين.. كما وان هذه الاحتفالات وان تلاشت بالصورة التي كانت عليها في العهود القديمة، فأن شعبنا ظل يحتفل بها بأشكال مختلفة، كما واظهر بعضها بغير قالبها القومي لظروف القهر والاضطهاد التي مورست بحقه، فالى يومنا هذا ما زال ابناء شعبنا وخاصة في القرى يشرعون منذ الفجر الباكر بقلع قبضة من العشب الاخضر ووضعها في اعلى مدخل البيت في اليوم الاول من نيسان للدلالة على قدوم الربيع وبداية السنة الجديدة ويسمونها بـ"دقنا دنيسان" والتي تعني "مقتنيات نيسان" بلغتنا الأم.

كما ان طقوس ورموز عدة ما زالت تمارس تعج بها القرى الاشورية هنا وهناك وتدل على احتفالات احد الايام الاثني عشر.. ففي حفلات الاعراس وخاصة اليوم الثاني منها حيث تجري دراما تمثلها مجموعة من الحاضرين تقف الى جانب الزوجين في ادانة الآخرين من المدعوين كاشارة الى الملك والملكة الحقيقيين، وبعدها يستبدلان بآخرين عن طريق مجموعة اخرى فيبدءان ببث الفوضى والاضطراب بين الناس وادانة من يحلو لهم، الى ان يتم اعادة الزوجين الحقيقيين.. وهي اشارة الى اليوم السابع من احتفالات نيسان عندما كانت تسلم مقاليد الحكم الى اناس عاديين وشحاذين فيسود الاضطراب في البلاد الى نهاية اليوم ليعود من بعدها الملك، وكل ذلك بهدف عقد مقارنة بين الاستقرار والنظام السياسي واهمية الملك في حياة البشر وبين الفوضى والاضطراب ومدى تأثيرها على حياة الناس "كما سبقت الاشارة".

كما ان يوم "كالو سولاقا" المعروف لدى ابناء شعبنا الى اليوم، والذي يتم فيه اختيار احدى الفتيات لترتدي ملابس الاحتفالات الخاصة بالزواج، فتبدأ المجموعة بالطواف من بيت الى اخر في القرية او المدينة، هو الآخر اشارة الى اليوم الحادي عشر من الاحتفالات التي يعلن فيها الزواج المقدس بين الاله وسيدة من اجمل بنات البلاد ينتخبها كهنة المعبد وغيرها الكثير من الامثلة والصور التي تظهر تمسك شعبنا بالاحتفال بعيده القومي بصورة او بأخرى.

واليوم فإن الآشوريين حيثما سنحت لهم الفرصة للاحتفال بحرية اظهروا التزامهم بعيدهم القومي على مر القرون الطويلة، سواء في ارض الآباء والاجداد ام في بلدان المهجر.

ففي الوطن وبعد إنتفاضة اذار ١٩٩١، وفي أجواء الحرية والديمقراطية التي تمتعت بها المناطق المحررة من تسلط النظام في بغداد، فقد صدر عن برلمان اقليم كردستان العراق عام ١٩٩٢ قرار بإعتبار الاول من نيسان عيدا قوميا للآشوريين وعطلة رسمية لهم، ويوما بعد آخر أخذت هذه الاحتفالات في الاقليم طابعا جماهيريا واسعا واكثر تنظيما يجري الاعداد لها والاحتفال بها كما في عهدها القديم على مدى اثني عشر يوما، وكما في السابق فإن لليوم الاول من نيسان طابعه الخاص والمميز حيث تشترك الآلاف من جماهير ابناء شعبنا من كافة مناطق الاقليم والقادمين من المحافظات الاخرى في الوطن واعداد من القادمين من المهاجر، ومن كافة الفئات والاعمار والشرائح الممثلة لجميع المؤسسات والهيئات والمنظمات الجماهيرية الى جانب مشاركة ممثلين عن الاحزاب الصديقة العاملة وجماهير من ابناء القوميات المتآخية.. في الاقليم تصطف على جانبي الطريق، وذلك في المسيرات الحاشدة التي تخرج عبر شوارع المدن الى احضان الطبيعة وترفع شعارات تعبر عن الارتباط بالارض والتزامها بعيدها القومي وانتمائها الى هذه الحضارة العريقة تاريخا وتراثا وارادة ونضالها من اجل التواصل والوجود والحرية لوطن والحقوق القومية المشروعة.

وقد اصبح هذا اليوم حدثا مهما بدليل ان الكلمة التي تلقيها حركتنا القومية الآشورية بهذه المناسبة امام الجماهير المحتفلة، اصبحت خطابا قوميا تحمل معاني ودلالات سياسية وطنية وقومية تعبر عن نضال وتطلعات من اجل الحرية والديمقراطية في الوطن والحقوق القومية المشروعة لشعبنا الآشوري.. في قراءة للأوضاع السياسية القائمة في الاقليم والوطن وافاق قضيتنا القومية العادلة.

اما الايام الاحدى عشرة الاخرى، فتشتمل احتفالاتها بفعاليات متنوعة في كافة مناطق الاقليم.. من اقامة معارض واجراء مناظرات ومسابقات رياضية وفنية والقاء محاضرات ثقافية خاصة بالمناسبة.. الخ.

وفي المهاجر فإن فسحة الحرية المتوفرة منحت الفرصة لأبناء هذا الشعب ومنذ البدايات وحيثما تمكنوا ان يظهروا التزامهم بهذا العيد القومي والاحتفال به، وفي الأعوام الأخيرة فأن الاحتفالات هناك هي الاخرى اخذت طابعها الجماهيري المميز عبر تنظيم مسيرات وتسيير مواكب احتفالية تبرز رموز وشخوص الحضارة الآشورية المعطاء في أرض الرافدين. كما وتزايد الاهتمام الاعلامي القومي بكافة وسائله لهذه المناسبة بشكل كبير، بالإضافة الى الاعلام الدولي.

احتفالات نيسان في بغداد

وعقب سقوط النظام الدكتاتوري في العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣، ووصول فعالياتنا السياسية إلى العاصمة الحبيبة بغداد وانفتاح العمل السياسي في ظل أجواء التعددية والديمقراطية، فقد شهدت السنوات الثلاث الماضية استذكارا لهذه المناسبة لكنه جاء ضمن متطلبات المرحلة والاستحقاقات السياسية ومتطلبات الوضع الأمني غير المستقر، إذ احتضنت الحركة الديمقراطية الآشورية في بغداد الاحتفالات التي أقيمت بهذه المناسبة العطرة.